المقدمة

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:

فقد استطاع المتقدمون من الفقهاء أن يبحثوا في مسائل طبية شتى، تتصل بالموضوع الفقهي من جانب، وبالموضوع الطبي من جانب آخر، فأفتوا في هذه المسائل وأجادوا وسدوا ثغرة تتعلق بالجوانب العملية ـ غير التعبدية ـ وقدّموا للعالم القديم حضارة الإسلام الشاسعة الرحبة، التي تعتمد على اجتهاد الأطباء واستنباط الفقهاء.

وبرع الأطباء المسلمون وأسهموا في رقي الحضارة العلمية أيّما إسهام، فاخترع بعضهم كثيراً من الآلات الطبية، واكتشف آخرون أدوية لأمراض لم يكن لها دواء، حتى غدت جامعات أوروبا تحذو حذوهم، وتهتدي بهديهم، وترفع أسماءهم كأوسمة في أروقة جامعاتها.

وتطورت العلوم تطوراً هائلاً، وصارت الاكتشافات العلمية والطبية تتسارع كل يوم، حتى غدا الغرب قائد مسيرة الحضارة، وابتعد العرب والمسلمون فأصبحوا في أسفل دركات العلوم، ولم يستطيعوا أن يواكبوا هذه المسيرة الهدارة، فسكنوا وثار غيرهم، وناموا واستيقظ سواهم.

اكتشف العلماء بصمة غير ذات الأصابع يستطيعون من خلالها أن يثبتوا أو ينفوا نسب الولد من أبيه أو أمه، وذلك يعود إلى جزء أو أجزاء من حمض D ـ N ـ A المتمركز في نواة أي خلية من جسم الإنسان، يظهر في سلسلتين تمثل إحداهما صفات الأب الوراثية وتمثل الأخرى صفات الأم الوراثية.

وبفضل اكتشاف البصمة الوراثية أصبح من السهل معرفة هوية المشوّهين في الحروب، والجثث المحترقة أو المتفحمة وأضحى علم ملاحقة المجرمين ينحني أمام البصمة الوراثية لتكشف هوية المجرمين وتشكل قرينة قاطعة ضدهم.

وتطورت الجراحة الحديثة وألقت بظلالها على كثير من المسائل الفقهية واستطاعت زرع أعضاء تناسلية للمقطوع ذكره مثلاً، وبالجراحة يعود الخنثى إلى طبيعته وفقاً لفحوصات تخضع لها الغدة التناسلية، وبالجراحة تشفى كثير من العيوب الجنسية للأزواج كالرتقاء والقرناء مثلاً، وينبغي ألا يفرق بهذه العيوب قضاءً وفقهاً بعد التدخل الجراحي لمصلحة الأزواج وألفتهم.

ومن الاكتشافات الطبية الحديثة أن توقف القلب في جسم الإنسان عن الحركة لم يعد دليلاً على الموت ولا علاقة له بذلك، وأن موت الدماغ هو الدليل على نهاية الحياة الإنسانية، ولم تعد علامات الموت التقليدية التي اعتبرها الفقهاء علامات لموت الإنسان لم تعد تستطيع أن تواكب هذا الاكتشاف المهول.

ومع تقدم الطب الحديث استطعنا أن نعرف مداخل الجوف، فالأذن والعين والأنف عرفت قنواتها وأنها تصل إلى الجهاز الهضمي أو لا تصل؟ وبذلك نتبين بيقين مدى تأثير الطب الحديث على المفطرات.

واكتشف الأطباء أن بعض الأمراض كالتلاسيميا من نتيجة زواج الأقارب بعد فحوصات مخبرية وبعض المسائل المستجدة كالفحص الطبي قبل الزواج وخطت الدول خطوة مهمة في تأكيد ووجوب هذا الفحص، وعملت على نشره في ربوعها وكل هذه المستجدات تلقي بثقلها على كاهل الفقهاء لتجعل مسؤوليتهم أكبر.

وكما عرف الأطباء أن علامة الموت هي موت الدماغ كذلك عرفوا بداية الحياة الإنسانية من خلال معرفتهم لوقت بدء تكوين الجهاز العصبي في جسم الجنين، مما له صلة مهمة بأحكام الإجهاض وتأثيره على الفقه الإسلامي وأحكام الفقهاء، وتدخل الطب في تحديد جنس الجنين ذكراً أم أنثى؟ عبر وسائل مخبرية وطبيعية، وكذلك أثبت الطب الحديث جدارته وتفوقه في كثير من الميادين التي تمت إلى الفقه الإسلامي بصلة في جوانب غير تعبديّة فأصبح واقعاً مألوفاً في قضايا فقهية مهمة كالحيض والنفاس والرضاع والختان وغيرها.

1 ـ الباعث على اختيار البحث:

تكمن الأسباب الدافعة لاختيار هذا البحث في النقاط التالية:

1 ـ اللحاق بالثورة العلمية، وإيجاد حلول للمستجدات الطارئة، ومسايرة ركب التطور الطبي ومواكبة الفقه لهذا التطور بحيث يسيران جنباً إلى جنب ويعود للفقه الإسلامي بريقه، وكان لا بد للفقه أن يقدم نموذجاً حضارياً يؤكد فيه أسبقيته وفضله، ولهذا انبرى علماء الإسلام في العصر الحديث باجتهاد جماعي تشكّل بصورة مؤتمرات وندوات وأبحاث فقهية معاصرة واكب الطب الحديث، وفرّع اكتشافاته، وأجاب عن أسئلته.

2 ـ الاكتشافات الطبية الحديثة كالبصمة الوراثية لا تزال علومها حديثة، تحتاج إلى مزيد بحث من حيث علائقها الشرعية، وتأثيراتها الفقهية لأن علاقتها وطيدة بالأنساب مما له تأثير مباشر على أحكام فقهية مهمة كالقيافة والقرعة وأحكام التسري واللعان وكذلك في تنسيب أولاد الزنى فينبغي تبيان المواقف الشرعية من هذه الاكتشافات والعمل على تأصيل قواعد فقهية لها.

3 ـ خدمة القضاء الشرعي من حيث تقديم أحكام فقهية جديدة تتعلق بالعلاقة بين الأزواج من حيث التفريق بالعيوب أو عدمه، وكل ذلك من شأنه أن يؤثر على الأحكام القضائية ويغير مجراها في مثل هذه المسائل.

4 ـ الفائدة العلمية والثقافة الطبية المرجوة من خلال طرق أبواب هذه الموضوعات والمسائل المهمة والحديثة وتعميم فائدتها لاحقاً على طلبة العلم الشرعي.

5 ـ ما زالت أكثر المسائل الفقهية الطارئة على طاولة البحث حتى الساعة فكان من الواجب الإدلاء بدلو طلبة العلم في هذا المضمار والحوز على أسبقية خدمة الفقه.

2 ـــ أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث وأهدافه في التالي:

1 ـ الوقوف على الحقائق الطبية الحديثة التي تتعلق بالأحكام الفقهية وسبر أغوارها، فإذا عرف الداء كان الدواء سهل الوصف، فقد كان لعلمائنا قديماً باع طويل في مثل هذه القضايا وأدلوا بدلوهم فيها، فأضافوا إلى بناء الحضارة لبنات مهمات، واليوم وفي عصر العولمة والتكنولوجيا الحديثة، لا بدَّ من الاجتهاد في معرفة الاكتشافات الطبية ومتعلقاتها الشرعية حتى لا تكون عائقاً أمام استمرارية الفقه الإسلامي ومرونته ووصفه علاجاً في كل زمان ومكان.

2 ـ جمع المسائل الفقهية المعاصرة التي لها متعلقات طبية في عقد واحد، فهي لا تزال أبحاثاً متناثرة في طيات الكتب، وصفحات المجلات والدوريات العلمية وأدراج المؤتمرات، ولم تفرد فيما أعلم في مؤلف واحد فكان لا بد من العمل على جمعها وتأليفها في بحث واحد حتى تكون مرجعاً مهماً لقاصد هذا المضمار وهذا السبيل.

3 ـ تسليط الضوء على المسائل الفقهية ذات الصلة لتوضيح ما في بعضها من إشكالات في هذا المضمار، وتنحية بعض الآراء الفقهية التي جانبت الصواب كأقصى مدة الحمل سبع سنوات مثلاً، نتيجة لعدم معرفة الحمل الكاذب قديماً.

4 ـ الترجيح بين الفقهاء اعتماداً على نماذج الحقيقة الطبية والأحاديث الصحيحة، فكم من مسألة أصاب فريق من فقهائنا الحق، ولم يصب الباقون كما سنبين، والتأكيد على أن الحقيقة الطبية اليقينية التي تساعد في الترجيح بين أقوال الفقهاء في المسائل التي لها صلة طبية فقهية، مع التأكيد على أن الحقيقة الطبية لم تخالف الحديث الصحيح في طيات هذا البحث ولا مرة واحدة.

3 ـ مشكلات البحث وصعوبته:

1 ـ قلة المؤلفات وندرتها في مثل هذه المسائل فقلما تجد مؤلفاً يتحدث عن موضوع من موضوعات هذا البحث كالبصمة الوراثية ـ والتفريق بعيوب الأزواج ـ بالإضافة إلى صعوبة العثور على الكتب الطبية إذ تقدمت بعض الدول العربية كالكويت في هذا المضمار فساهمت المؤتمرات الطبية الفقهية في إيجاد متسع لوجود مثل هذه الكتب في ربوعها، وضمرت في بعض الدول.

2 ـ سعة الموضوع إذ إن كل مسألة فيه يمكن أن تشكل بحثاً لوحدها، والبحث عبارة عن موضوعات ضخمة كالبصمة الوراثية، الجراحة الحديثة، وموت الدماغ، وبنوك الحليب.... وزرع الأعضاء التناسلية.

3 ـ أكثر هذه الموضوعات لم يتكلم عنها الفقهاء الأقدمون كموضوع واحد بل هي أبحاث طارئة مستجدة مما اضطرني للجوء إلى المؤتمرات الطبية الفقهية والأبحاث الفقهية المعاصرة التي انبرى لها العلماء المعاصرون.

4 ـ أن أغلب هذه المسائل متناثرة في مقالات وفتاوى للعلماء المعاصرين، وكذلك في المجلات العلمية والأبحاث المنشورة، مما جعلني محتاجاً لوقت أطول ولجهد أكبر من أجل الحصول على هذه الأهداف المتباعدة.

4 ـ محتويات البحث:

جاء البحث محتوياً على مقدمة، وأربعة أبواب لكل باب فصلان وكل فصل يحتوي على عدة مباحث، وأخيراً نتائج البحث والتوصيات.

المقدمة: وفيها: الباعث على اختيار البحث، وأهمية البحث وأهدافه ومشكلات البحث وصعوبته.

- نتائج البحث والتوصيات.
- الفهارس.

5 ــ خطة البحث:

البحث: ينقسم إلى أربعة أبواب كل باب يحوي فصلين وكل فصل يحوي عدة مباحث:

الباب الأول: البصمة الوراثية وأثرها على الأحكام الفقهية.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: البصمة الوراثية التأصيل الشرعي والتأثير الفقهي.

وفيه عدة مباحث:

المبحث الأول: تعريف البصمة الوراثية وشروط العمل بها.

المبحث الثاني: التأصيل الشرعي للبصمة الوراثية.

المبحث الثالث: الطرق الشرعية لإثبات النسب.

المبحث الرابع: أثر البصمة الوراثية على إثبات النسب بالقيافة.

المبحث الخامس: أثر البصمة الوراثية على إثبات النسب بالقرعة.

المبحث السادس: أثر البصمة الوراثية على اللعان.

المبحث السابع: أثر البصمة الوراثية في تنسيب ولد التسري.

المبحث الثامن: أثر البصمة الوارثية في تنسيب أبناء الزنا.

الفصل الثاني: أثر البصمة على طرق معرفة المجرمين والمفقودين

وفيه عدة مباحث:

المبحث الاول: القرائن ودور البصمة الوراثية.

المبحث الثاني: البصمة الوراثية قرينة قاطعة.

المبحث الثالث: أثر البصمة على القسامة.

المبحث الرابع: أثر البصمة على طرق إثبات هوية المفقودين والمشوّهين والجثث ومجرمي الاغتصاب.

الباب الثاني: أثر الجراحة الحديثة على الفقه الإسلامي.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: أثر الجراحة في فقه الختان والخنثى.

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: علم الجراحة والأطباء المسلمين.

المبحث الثاني: أثر الجراحة في فقه الخنثى.

المبحث الثالث: أثر الجراحة في فقه الختان.

الفصل الثاني: أثر الجراحة في إزالة عيوب الأزواج.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التفريق بعيوب الأزواج عند الفقهاء.

المبحث الثاني: الجراحة وعيوب الرجال.

المبحث الثالث: الجراحة وعيوب النساء.

المبحث الرابع: العيوب المشتركة وطرق علاجها.

الباب الثالث: أثر تقدم الطب الحديث على الفقه.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الطب الحديث وأثره في علامات الموت والمفطرات.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر موت الدماغ على علامات الموت عند الفقهاء.

المبحث الثاني: أثر الطب الحديث في المفطرات.

الفصل الثاني: الطب الحديث وأثره في زواج الأقارب وحكم التدخين

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر الطب الحديث في حكم زواج الأقارب.

المبحث الثاني: أثر الطب الحديث في حكم التدخين.

الباب الرابع: أثر الطب الحديث في أحكام الحيض والنفاس والحمل والرضاع.

وفيه فصلان:

الفصل الأول: الطب الحديث وأثره في أحكام الحيض والنفاس والرضاع

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر الطب الحديث في أحكام الحيض.

المبحث الثاني: أثر الطب الحديث في أحكام النفاس واليأس.

المبحث الثالث: إنشاء بنوك الحليب وأثره على التحريم بالرضاع.

الفصل الثاني: أثر الطب الحديث في أحكام الحمل.

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: أقصى مدة الحمل، والدم الذي تراه الحامل.

المبحث الثاني: معرفة بداية نفخ الروح وأثره على إجهاض الحمل.

المبحث الثالث: التدخل في تحديد الجنين وأثره في الشريعة الإسلامية.

7 ـ نتائج البحث.

8 ـ الفهارس.